

محاضرة بيت الحكمة حول التأصيل القرآني لمقالات المتكلمين

لماذا تعطل الفكر الديني؟ كيف أصل القرآن لمقالات المتكلمين؟ هل يسمح النص القرآني بالتأويل؟ أي قيمة للتدبر في الخطاب القرآني؟ هل من حدود للتأويل؟ للبحث في هذه الإشكالات، نظم مؤخرا قسم العلوم الإسلامية بالمجمع التونسي "بيت الحكمة" محاضرة، قدمها الأستاذ حميدة النيفر بعنوان "التأصيل القرآني لمقالات المتكلمين".

افتتح الأستاذ النيفر محاضراته منطلقا من قراءة محمد إقبال لجمود الفكر الديني، وتحديدًا سؤاله لماذا تعطل الفكر الديني؟ حيث شدد المحاضر على أن اهتمامه بالنص الديني نشأ أدبيا بالأساس، وبعد اطلاعه على مدارس فكرية أضحت مهتمًا بالمقالات الكلامية، وبقضايا العلوم الإسلامية كقضية التأصيل القرآني للمقالات الكلامية، فللمتكلمين مجموعة نظريات، تنطلق منها دراساتهم كتلك التي تتعلق بأفعال الخير والشر والإيمان والاختلاف الخ... وعليه تكون البحوث الكلامية برأيه مرتبطة بهذه النظريات عبر آلية التدبر أي التأمل والتفكير، فالتدبر بالنسبة إليه إن اعتمدنا المقاربة الدلالية "هو كلمة مركزية" تؤكد احتواء القرآن على بنية مفاهيم تسمح بهوامش كبرى للتأويل "وتدبر الحق" لأن الغاية من الجهد التأويلي "السعي إلى الحق" لا الاستئثار به، وهنا يكمن جوهر الصراع بين الفرق الكلامية، فالاختلافات ليست دائما من طبيعة عقدية بل هي سياسية مما يفسر الفتنة وبعض المعارك كمعركة صفين التي ذكرها الأستاذ حميدة النيفر، المشدد على أن النص القرآني بنية كلامية قوامها الحث من أجل السعي إلى الحق من خلال التدبر المرتهن بالحجة والقبول بالمجادلة والتناول. كما أشار إلى ضرورة فهم تلك البنية استنادا إلى قاعدة الظرفية والاستمرار، فلا بد من استيعاب النص القرآني كنصوص مرتبطة بسياقات تاريخية وأخرى ذات طابع استمرارى على

حدّ قوله . لكن إلى أيّ مدى يكون التقاؤل منسجما مع مبدأ الاستعمال العام والعلني للعقل؟ وكيف نحمي الجهود التأويليّة من قوى الاستئنثار بالحقيقة؟ هل تحتل حقا ثقافة القداسة التعاطي مع النص بوصفه حيّا؟

تلك هي الفوارق الحقيقيّة بين الدراسات التحديثيّة المجدبة فعلا على سؤال لماذا تعطلّ الدين؟ والمعطلّين للديني لأغراض تتجاوز العقدي والمعرفي وإن كان ذلك ميكروفيزيائيّا .

